مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٩

مستويات الترجمة الأدبية في تجربة صلاح السعيد الشعرية:
(الباب المنزلقة تُقلق الطيور) إنموذجًا

د. علي قيس حمزة الخفاجي
قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة بابل

البريد الإلكتروني Email : Art.ali.qias@uobabylon.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الترجمة، الأدب، الشعر، المترجِم، السعيد .

كيفية اقتباس البحث
الخفاجي، علي قيس حمزة ، مستويات الترجمة الأدبية في تجربة صلاح السعيد الشعرية:(الباب المنزلقة تُقلق الطيور) إنموذجًا، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Levels of Literary Translation in Salah Al-Saeed's Poetic Experience:A Case Study of The Sliding Door Disturbs the Birds

Dr. Ali Qays Hamza Al-Khafaji
Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Babylon
Art.ali.qias@uobabylon.edu.iq

Keywords : Translation, Literature, Poetry, Translator, Al-Saeed

How To Cite This Article
Al-Khafaji, Ali Qays Hamza , Levels of Literary Translation in Salah Al-Saeed's Poetic Experience:A Case Study of The Sliding Door Disturbs the Birds,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Literary translation is considered one of the most challenging and intricate branches of translation. Rendering a literary text from one language into another is no simple task for any bilingual translator. Rather, it requires a translator with broad cultural knowledge, refined literary taste, and a deep awareness of the transformative potential of literary translation in strengthening the bonds of communication among nations, civilizations, and diverse cultures.

This study aims to shed light on this significant intellectual field by exploring the linguistic and terminological definitions of translation, tracing its roots in Arab culture, and clarifying its status between art and

science. It also investigates the translator's role as a creative agent parallel to the original author in handling literary texts.
Within this context, the study examines a notable and research-worthy phenomenon: the experience of the Iraqi translator Salah Al-Saeed—one of the most prominent figures in the field of literary translation in Iraq and the Arab world. It seeks to identify the levels of literary translation in his work by analyzing his literary approach in translating The Sliding Door Disturbs the Birds, a book that features thirty-three poets from various languages and countries around the world.

الملخص

تُعد الترجمة الأدبية واحدة من أكثر فروع الترجمة صعوبة وتعقيدًا، فنقل النص الأدبي من لغة إلى أخرى ليس بالأمر اليسير لأي مترجِم يمتلك لغة أخرى، إذ يجب أن يكون هذا المترجِم ذا ثقافة واسعة وذوق أدبي رفيع وإدراك بقيمة ما يمكن أن تفعله الترجمة الأدبية من تعزيز وشائج التواصل بين الأمم والحضارات والثقافات المختلفة، ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذا المجال المعرفي المهم من خلال الوقوف على التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الترجمة وتتبع جذوره في الثقافة العربية، وبيان موقعه من الفن والعِلم، ومن ثم التعرف على أثر المترجِم بوصفه مبدعًا موازيًا لمبدع النص الأول في تعامله مع النصوص الأدبية، مستحضرًا في هذا السياق ظاهرة تستحق البحث والدراسة وهي تجربة المترجِم العراقي صلاح السعيد الذي يُعد من الأسماء اللامعة في سماء الترجمة الأدبية في العراق والوطن العربي، ومحاولة بيان مستويات الترجمة الأدبية في تجربته من خلال الكشف عن الأسلوب الفني في ترجمته لكتاب (الباب المنزلقة تقلق الطيور)، إذ ضمَّ هذا الكتاب ثلاثة وثلاثين شاعرًا من مختلف لغات بلاد العالم.

المقدمة

إن من أبرز فروع الترجمة التي تحتاج إلى تكامل معرفي ولغوي وبلاغي وإيقاعي هي الترجمة الأدبية، فهذه الترجمة لا تكتفي بنقل المعنى الحرفي للنص فحسب، وإنما تتجاوز ذلك إلى إعادة إنتاج النص الأدبي بما يتضمنه من بنى تركيبية وبلاغية وإيقاعية ليتلاءم مع طبيعة اللغة المنقول لها وينسجم مع ذائقة المتلقين لهذه الترجمة، فلكل لغة خصائصها وحمولاتها الشعورية التي تميزها عن اللغات الأخرى، ويحاول هذا البحث فهم طبيعة الترجمة الأدبية والتركيز على تجربة يُشار لها بالبنان وهي تجربة صلاح السعيد، إذ ترجم عشرات المؤلفات من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية، وفيما يخص الترجمة الأدبية فقد كان كتاب (الباب المنزلقة تقلق الطيور) مثالًا جيدًا لهذا النوع، إذ ضم الكتاب ٦٠ قصيدة من مختلف لغات العالم، وقد

اقتضى الموضوع تقسيمة على محورين، كان عنوان المحور الأول (الترجمة الأدبية: من التأصيل المفاهيمي إلى ممارسة الإبداع الأدبي)، فيما كان عنوان المحور الثاني (صلاح السعيد: المترجِم الأدبي بين التكوين الثقافي ومستويات الأسلوب الفني)، تبتعهما خاتمة بما توصل إليه البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المحور الأول

الترجمة الأدبية: من التأصيل المفاهيمي إلى ممارسة الإبداع الأدبي

أولاً: التعريف بالترجمة لغة واصطلاحًا

لغةً، ورد في لسان العرب في مادة (ترجم): ((التُّرْجُمَان والتَّرْجَمَان: المُفَسِّرُ للِّسان. وفي حديثِ هِرَقْلَ: قالَ لِتُرْجُمَانِهِ؛ التُّرجُمَانُ، بالضَّمِّ والفَتْحِ: هو الذي يُتَرْجِمُ الكلامَ، أي يَنْقُلُهُ من لغةٍ إلى لُغَةٍ أخرى))[١]، وهذا القول يعني أننا نستخدم الآن كلمة عربية صريحة، لا لبس فيها ولا إبهام، فالظاهر من كلام صاحب اللسان أن هذه الكلمة أصلية في اللغة العربية، ولم تحوّل عن معنى آخر[٢]، وقول ابن منظور بأن (التَّرْجمَان: المُفَسِّرُ للِّسان) تعني أن عملية الترجمة لا تقتصر على نقل الكلام من لغة إلى أخرى بشكل حرفي، بل بوصفها فِعلًا تأويليًّا ثقافيًا يُفسِّر معنى الكلام ويشرحه ويبين مقاصده، فدور المترجم لا يتوقف عند المعرفة بلغتين أو أكثر، بل يتجاوز ذلك إلى إعادة بناء معنى النص المُتَرجَم بما يتناسب مع طبيعة اللغة الأخرى، لذا فالمترجِم أقرب للمؤول منه إلى الناقل الحرفي أو الآلي، ولعل هذا الأمر يظهر بشكل جليّ في الترجمة الأدبية، إذ يحتاج المترجِم في هذا النوع من الترجمة إلى إعادة بناء الصور البلاغية والتراكيب الرمزية والإشارات السيميائية، وبهذا يمكن أن تشير كلمة (اللسان) في معناها الأوسع –من وجهة نظر ابن منظور– إلى ثقافة الآخر وهويته.

أما اصطلاحًا، فقد عُرّفت الترجمةُ بتعريفات عدَّة، ولكن هذه التعريفات تكاد تتفق في مجملها على أنها تعني الشرح والتفسير[٣]، فهي شرح كل ما يُقرأ وتفسير لكل ما غمض من لغة إلى أخرى[٤]، أو هي شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر، من لغة أخرى إلى لغة المتلقي، فهي بالنسبة للمترجِم تفسير فكرة مصاغة من قِبل غيره في ضمن لغةٍ ما إلى لغة أخرى، مما يعني أن الفكرة الأم لا تعود إلى المترجِم بل إلى منشئ النص[٥]، وهذا التعريف يضعنا أمام أحد أهم المبادئ الأساسية في نظرية الترجمة وهو مبدأ أمانة الترجمة وحقوق الملكية الفكرية، فالمؤلف هو من يملك الفكرة، والمترجِم هو من يملك القدرة على نقل هذه الفكرة إلى جمهور جديد لا يعرف اللغة الأم للنص، فـ((المترجِم الحق هو من يلتزم الحد المناسب في ضوء الشروط التي تفيد المؤلف الذي ينقل عنه، لتخرج ترجمته صادقة وصحيحة للنص الأجنبي، لا يكاد يختلف

مبناها عن فحواها))[٦]، فالمترجِم ليس مؤلفًا يبتدع الأفكار، بل ناقل لها من لغتها الأم إلى لغة أخرى، فهو وسيط بين المؤلف الأصلي للنص والقارئ الجديد، ما يحتّم على المترجِم أن يكون أمينًا في نقله، وهذه الأمانة تكمن في نقل فكرة النص الأصلي ومقاصده وبنيته البلاغية ونبرته الخطابية، وليس من حقه أن يعيد تشكيله كما يشاء، أو أن يضم إليه أفكاره الشخصية أو يصبغه بأيديولوجيته أو ينسبه إلى نفسه، فهو ناقل أمين للفكرة لا منتج لها.

ثانيًا: تاريخ الترجمة عند العرب

تاريخيًا، وفي لمحة عن بدايات الترجمة عند الغرب، يتضح أنها تعود إلى أيام الإمبراطورية الرومانية الإغريقية، لغايات دينية بحتة، إذ انكبَّ المترجمون يومئذٍ على نقل التوراة والإنجيل، وتباينت ترجماتهم وتفاوتت حرفيتها وتصرفها[٧]، ثم بعد ذلك جاءت حركة الترجمة عندهم وليدة الحاجة لنقل علوم العرب المتطورة والتي كان يفتقدها، سواءً من علوم الفلك والرياضيات والهندسة المعمارية والشعر والأدب وغير ذلك[٨].

أما في البلاد العربية، فقد قامت الترجمات الأولى إلى العربية على أكتاف المترجمين السريان، الذين كان وراءهم تراث تليد في هذا المضمار يرجع إلى عهد الوثنية، فقد انتهوا من ترجمة الأناجيل الأربعة إلى السريانية إبان النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، وأضافوا الشروح والحواشي واستكملوها في تلك الترجمة حتى القرن السابع الميلادي[٩]، ثم عمدوا إلى نقل علوم اليونان والهند وغيرهم وترجمتها إلى اللغة العربية[١٠].

وفي العصر الجاهلي، احتكَّ العربُ بالشعوب الثلاثة المحيطة بهم، وهم الروم في الشمال والفرس في الشرق والأحباش في الجنوب، ومن الصعب قيام مثل هذه الصلات الأدبية والاقتصادية من دون وجود ترجمة، وإن كانت في مراحلها البدائية، وكان مما يزيد من تلك الصلات هي الرحلات التجارية، فقد كان العرب يرتحلون للتجارة صيفًا وشتاءً ويتأثرون بجيرانهم في مختلف نواحي الحياة، ولقد عرفوا بلاد الفرس، وانتقلت إليهم ألوان من ثقافتهم.. وانتقلت بعض الألفاظ الفارسية إلى اللغة العربية، وظهرت في شعر كبار الشعراء[١١]،

وما إن حلَّت عصور الإسلام الأولى حتى كان للترجمة أثر كبير أيضًا، إذ أدرك المسلمون حاجة الأمة إلى استخدام غذائها الفكري، فتدفقت بوساطة الترجمة الوديانُ من مختلف الثقافات العالمية إلى النهر العربي[١٢]، ولكنَّ العصر الأموي يُعدُّ أول دور من أدوار حركة الترجمة عند العرب بشكل واضح، فعلى الرغم من أن الترجمة في هذا العصر كانت بدائية وضعيفة المستوى إذا ما قورنت بالترجمات الأخرى في العصور التي تلت، إلا أن هذا العصر كان بحق حجر

الأساس لبناء هذا الحركة عموماً، والمنطلق الأول لها في أنحاء العالم الإسلامي مشرقه ومغربه[١٣].

أما في العصر العباسي وبعد أن أصبح العرب أمة متحضرة، عرفوا أهمية الترجمة فأخذوا بنقل ما عند اليونان والفرس والهند من معارف وعلوم كانوا بحاجة إليها[١٤]، لذا ازدادت حركة الترجمة في هذا العصر، وكان المترجمون من أمثال حنين بن إسحق وثابت بن قرَّة يتقنون اللغة العربية والسريانية معًا، وكذلك العلوم التي يترجمونها، حتى أن حنين بن إسحق كان يترجم الجملة بجملة تطابقها في اللغة العربية، ولا يترجم كل مفردة على حدة، كما ترجم يوحنا بن البطريق وابن الحمصي وغيرهما، ومن شدة عناية العرب في العصر العباسي بدقة الترجمة ظهرت ترجمات عدة لنص واحد، فعلى سبيل المثال ترجم أبو بشر متي بن يونس كتاب "الشعر" لأرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ ق. م) ثم ترجمه مرة ثانية ليحيى بن عدي، وهذا التكرار للترجمة دليل على حرصهم على دقتها[١٥]، ومما يلحظ أيضًا على الترجمة في العصر العباسي أن العرب على الرغم من عنايتهم بآثار اليونان العلمية والفلسفية، إلا أنهم ضربوا صفحًا عن آثارهم الأدبية، ومع ذلك فقد تُرجمت بعض المؤلفات الأدبية عن لغات أخرى غير اليونانية، ومن أشهر ما تُرجم في هذا العصر كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية، وقد سبق أن تُرجم إليها من الهندية[١٦].

ونتيجة للاستعمار الغربي الذي اجتاح الوطن العربي في نهايات القرن الثامن عشر وما حدث بعده من انفتاح العرب على باقي البلدان، فقد اتجه بعض حكّام البلاد العربية إلى إرسال البعثات إلى أوربا لتعلم علومهما ولغاتهما، ومن بينهم محمد علي باشا الذي عمد إلى استقدام المترجمين من سوريا ولبنان إلى مصر، فضلاً عن إرسال البعثات إلى فرنسا وأوروبا للتزود بالمعارف والعلوم الحديثة ونقلها إلى مصر، وكانت نتيجة ذلك صدور عدد كبير من الكتب المترجمة إلى العربية[١٧].

أما في عصرنا الحديث، فقد أصبحت البشرية بشكل عام ((في تغيير متسارع، وأصبح العالم مدينةً صغيرةً، والتواصل فيها أكثر ضرورة من الماضي، خاصة بعد الانفجار الهائل للاختراعات والأدوات ووسائل الاتصال السريع مثل الحاسوب والإنترنت، فالأمر يتطلب النقل والترجمة والتعريب وإيجاد المفردات والاصطلاحات علمياً وأدبياً[١٨].

وبهذا، يتضح من خلال هذا الاستعراض السريع لتاريخ الترجمة عند العرب أن هذه العملية لم تكن أداة للتواصل بين اللغة العربية واللغات الأخرى فحسب، بل شكّلتْ وعاءً ثقافيًا أو جسرًا حضاريًا أسهم في نقل المعارف بين الأمم والحضارات المختلفة، وهنا تتبلور أهمية الترجمة

بشكل عام والترجمة الأدبية بوصفها الشكل الأرقى لهذه العملية، إذ لا يكتفي هذا النوع من الترجمة –كما سيتضح فيما بعد– بنقل المعنى الحرفي، بل يتجاوزه إلى نقل الأحاسيس والمشاعر فضلًا عن روح النص الأدبي المترجَم وأسلوبه.

ثالثًا: الترجمة بين العلم والفن

لا تختلف الترجمة عن باقي المصطلحات التي يُختلف عليها في كونها علماً أم فناً، فضلًا عمَّن يرى الترجمة فنًّا وعلمًا في آن واحد[١٩]، إذ هي علم له قواعده ونظرياته، وفن له أصوله وتقنياته، ومن ثم فـ((هي علم باللغة والثقافة مِن وإلى اللغة الثانية، وفن يصوغه المترجِم بقدرته))[٢٠]، إذ ينبغي للمترجم أن لا يكتفي بمعرفة معاني الكلمات وطريقة تركيبها في جمل مضبوطة قواعديًا، بل هو بحاجة إلى معرفة ما وراء المعنى السطحي من خلال الغوص في السياقات الاجتماعية والإيحاءات والتقاليد التي تقف خلف اللغة التي يترجمها، وبهذا فالترجمة ليست عملًا عشوائيًا، بل هي علم له منهجيته وأدواته، وهي في الوقت نفسه فنٌّ طيّعٌ بيد المترجِم الحاذق، فعلى الرغم من أن المؤلف هو مُنتِج النص، إلا أن المترجِم هو شريك خفي للمؤلف في إعادة إنتاج النص بلغة أخرى، مما يوجب على المترجِم أن يمتلك ذائقة أدبية وحسًّا لغويًا وقدرةً على صوغ المعاني بأسوب جميل جذاب، وهو الأمر الذي يتفاضل فيه المترجمون وتختلف على أساسه جودة النصوص المترجمة، فهذه الأمور الثلاثة هي من تحدد مدى جمالية الترجمة وصدقها وتأثيرها.

وليس ببعيد عن هذه النظرة، فهناك مَن يرى أن الترجمة ((فنٌّ لكنها فن قائم على علم))[٢١]، فهي ليست علمًا آليًّا ولا فنًّا ذاتيًّا، بل هي فن مدروس، أو علم متجسّد في فن، وما على المترجِم إلا أن يوازن بين العلم والفن، ولهذا نجد مَن يرى أنَّ الترجمة ((علمٌ متخصص يتطلب موهبة وممارسة مستمرة))[٢٢]، ما يشير إلى أن الترجمة تُعد مجالًا معرفيًّا قائمًا بذاته، وهذا المجال يتطلب موهبة قائمة على حسٍّ لغوي عالٍ وذوق فني رفيع في التعبير، فالمترجِم الذي لا يملك موهبة التعبير الجميل لا يمكن له أن ينقل جمال النص المترجَم مطلقًا، فضلًا عن ضرورة الممارسة المستمرة والتدريب الدائم على قراءة النصوص ذات المرجعيات الثقافية المتعددة وفهمها وتحليلها وإعادة صياغتها.

وبشكل عام، فإنَّ الترجمة وإن اختلفت في كونها علماً أو فناً أو كليهما، فهي تقوم على قواعد تعتمد عليها، من هذه القواعد أنْ تُعطي الترجمةُ صورةً صحيحةً للأفكار المتضمنة في النص المترجَم، وأن يلزم المترجِم المحافظة على الأسلوب الموجود في هذا النص قدر الإمكان، وكذلك ينبغي ألا تقل سلاسة الترجمة عن سلاسة النص المترجَم[٢٣]، ولذلك فإن من أصعب

المشكلات التي تواجه الترجمة الصحيحة تلك التي تتصل بدلالة الكلمات وحدود معانيها بين لغة وأخرى، فمتى ما خرجت الكلمة من بيئتها الاجتماعية إلى بيئة ثانية عبر ترجمتها من لغة إلى أخرى، احتاج المترجِم إلى عناء كبير للحصول على ما يرادف هذه الكلمة في الدلالة لتؤدي المعنى المقصود للدلالة نفسها أو ما يقرب منها[٢٤]، ويبدو أن مرجع هذه المشكلة يكمن في أن معاني بعض الكلمات تنبع من تجربة ثقافية خاصة ببيئة اجتماعية معينة، لذا يصعب نقلها من خلال اللغة إلى بيئة اجتماعية أخرى، ما يفرض على المترجِم جهدًا أكبر للحصول على كلمات مرادفة ذات دلالة تلائم الكلمات الأصلية.

رابعًا: المترجِم والنصوص الأدبية

تختلف قراءة مترجِم النصوص الأدبية عن قراءة القارئ العادي للنص، فهو لا يقرأ لإيجاد متعة القراءة فحسب، بل إن فعاليته تتعدى ذلك لتتضمن إنتاج نص مكافئ للنص المترجَم، فمن ناحية اللغة الأصل يُعدُّ هذا المترجِم مخاطَبًا، في حين يكون المترجِمُ مخاطِبًا من ناحية اللغة الهدف، ولذا يكون دوره مزدوجًا، متلقيًا ومنتِجًا، قارئًا وكاتبًا في الوقت نفسه[٢٥]، وعليه، فإن ترجمة نصٍ أدبي تحتاج إلى أن يكون المترجِم على دراية بأسلوب الأديب، وألَّا يكون أسلوبه باهتًا أو تافهًا[٢٦]، فالمترجِم في الترجمة الأدبية هو مُبدع لا يقل شأنًا عن المبدع الأصلي للنص المترجَم، لا مجرد ناقل للمعنى، إذ هو من يجعل النصَّ المترجَم حيًّا ومؤثرًا، إذ ليس المهم في هذا النوع من الترجمة (ما الذي يُقال) فحسب، بل (كيف يُقال)، فقارئ النص المترجَم يجب أن يشعر أن للنص المقروء هويةً أدبية واضحة مؤثرة، وهذا ما لا يمكن أن يحدث إلا في حالة وجود مترجِم ذي أسلوبٍ أدبي رفيع ومتمكنٍ من أداوته وواعٍ لموسيقى اللغة، ولديه القدرة على إعادة إنتاج الجمال الفني الموجود في النص المترجَم.

فضلًا عن ذلك، إذا كانت النصوص العلمية تتطلب الدقة في اختيار المصطلح، والإلمام التام بالموضوع العلمي محط الترجمة، فإن النص الأدبي يتطلب سعة الخيال ودقة التعبير؛ لأن صفة الإبداع تبدأ من لحظة اختيار المترجِمُ النصَّ الأدبي للترجمة، فعملية الاختيار ليست اعتباطية، فلا شك أن النص قد خاطب مشاعر المترجِم، وحرّك أفكاره، بل دفعه للعمل والحوار، لذلك يجب أن يحافظ المترجِمُ على جوهر النص الأدبي ومعطياته من خلال فهمه واستيعابه لطبيعة هذا النوع الخاص من النصوص، فكل نص أدبي يتضمن رؤية خاصة للحياة تبعًا لرؤية الكاتب الخاصة للعالم، ثم إنه يحتمل قراءات عدة، مما يجعل عملية قراءة مثل هذا النص ليست بالسهلة دائمًا، فالأمر يتعلق بعمق الإدراك والفهم لمقتضيات النص وبعملية الغوص في متاهات التعبير واستغلال القدرة على التخيل، وذاك هو الإبداع الحقيقي في الترجمة الأدبية[٢٧].

ولذلك، فإنَّ مَن يحاول ترجمة عمل أدبي لا بد أن يكون واعيًا بأن الأمانة في الترجمة لا تعني التماثل بين الكلمات والنصوص؛ فالنص المترجَم يجب أن يكون فاعلًا ومؤثرًا في اللغة التي يُنقل إليها مثلما هو موجود في اللغة الأصلية، وهذا يتطلب من المترجِم إعادة صياغة المفاهيم والشحنات الوجدانية، فالمترجمون في ميدان الأدب يعرفون أن الترجمة هنا ليست إعادة إنتاج بل هي "كتابة"، والكتابة الإنتاجية الجديدة التي تقوم على نص أصلي يجب أن تراعي مبدأ فهم النصوص المذكورة في اللغة المترجَم إليها من دون الإخلال بالعناصر الإبداعية والجمالية للعمل الأدبي(٢٨).

وأصعب ما يمكن ترجمته في الأدب بشكل عام هو ترجمة الشعر؛ ومن الطبيعي أن تتفاوت درجة صعوبة ترجمة الشعر تبعًا لطبيعته وأغراضه، فالشعر التعليمي أسلسه قيادًا وأكثره مرونة في الترجمة ولا يفقد شيئًا حين يُنقل من لغة إلى أخرى، إذ إن ميزته الأساسية تكمن في تدرجه المنطقي أو في المدركات العقلية التي يشتمل عليها، إلا إذا كان في القصيدة زخرف أو توشية فإن شيئًا من هذا يُفقَد في الترجمة، أما في الشعر الغنائي فالصعوبة أعظم، إذ الأفكار أقل انتظامًا والخيال أكثر اتساعًا، ومحاولة ترجمته نثراً قد تعطي صورة مضحكة عن الأصل، إذ ينقلب كل ما هو من المحسنات في الشعر إلى معائب في النثر، فالأخيلة الشعرية الرائعة تمسي في النثر مجرد هذيان وصورة مبعثرة لا رابط بينها(٢٩).

مما تقدَّم، يتضح أن الترجمة بشكل عام والترجمة الأدبية بشكل خاص ليست نشاطًا لغويًا محضًا، بل هي خليط متجانس وتوازن دقيق بين التمكن العلمي من خصائص لغة النص المترجَم وتراكيبها، فضلًا عن معرفة تفصيلية بالثقافة التي كوَّنت هذا النص، والقدرة الفنية على صياغة تعبيرية تتطلب حسًّا أسلوبيًا ووعيًا تأويليًا، ليبرز أثر المترجِم في النصوص الأدبية بوصفه شريكًا يسهم في إعادة إنتاج النص بثوب جديد، وبأسلوب يراعي روح النص المترجَم وجمالياته، ولعل تجربة الباحث والمترجِم صلاح السعيد –التي سنسلط الضوء عليها في المحور الثاني– تُعد أنموذجًا بارزًا لمترجِم استطاع أن يجمع ويوازن بين دقة النقل وجمالية التعبير.

المحور الثاني

صلاح السعيد: المترجِم الأدبي بين التكوين الثقافي ومستويات الأسلوب الفني

أولًا: التكوين الثقافي للمترجِم صلاح السعيد

صلاح مهدي السعيد، كاتب ومترجم وباحث، ولِد عام ١٩٤٥م في الحلة بمحافظة بابل، وحصل على شهادة البكالوريوس في كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٦٩م، وعلى شهادة

الجدارة في اللغة من المعهد البريطاني للغات عام ١٩٧٦م، وقد عمل مدرسًا في المدارس الثانوية في العراق والكويت وليبيا وألمانيا، وكذلك درَّس في معاهد المعلمين العراقية، وهو عضو عامل في نقابة الصحفيين العراقيين، فضلًا عن عضويته في جمعية المترجمين العراقيين، وعضوية الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق والوطن العربي، وعضوية هيأة تحرير جريدة الأديب الثقافية، وقد ترجم وكتب العشرات من المقالات ونشرها في معظم الصحف والمجلات العراقية، وحاز على الجائزة الأولى لوزارة الثقافة العراقية لعام ٢٠١١م عن كتابه الموسوم (طقوس وعقائد ما بعد الموت)[٣٠]، وترأس اتحاد أدباء وكتَّاب بابل للدورتين الخامسة عشرة ٢٠١٦ والسادسة عشرة.

وفي إحدى المحاضرات الدورية لاتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين ذكر السعيد أنه نشأ بين أكوام الكتب، فقد كان أبوه صاحب مكتبة كبيرة، ومن خلال مطالعته المستمرة تكوّنت لديه ذائقة أدبية على الرغم من أن اتجاه دراسته كان علميًا، وكان يميل كثيرًا في أثناء دراسته للغة الإنجليزية لقراءة الأدب، وأخذ يترجم الروايات العالمية ومقالات النقد الأدبي والنصوص التي يتلقاها مثل مسرحية شكسبير، فضلًا عن مخطوطة في الشعر من عشر صفحات نُشرت في مجلة الأقلام عام ١٩٦٩م، إذ كانت هذه هي بداياته في النشر، ومنذ ذلك الحين بدأ مشواره في الترجمة، وقد لفت السعيد إلى أن المترجِم يُعد قرين المؤلف وهو المبدع الثاني للنص[٣١].

وقد صدرت له مؤلفات عدة منها:

١- بابل بين الماضي والحاضر (مشترك) ١٩٨٦
٢- شجر الرمان- قصص قصيرة مترجمة ١٩٨٩
٣- مقالات في الأدب الغربي- مترجم ١٩٩٧
٤- المرأة في الشرق الأدنى القديم- مترجم للكاتبة الألمانية ألزي زيبرت ٢٠٠٥
٥- مازال المطر منهمراً- قصائد عالمية مترجمة ٢٠٠٦
٦- الحلة في مذكرات الرحالة والمستكشفين ٢٠٠٧
٧- قصص عالمية قصيرة مترجمة ٢٠٠٨
٨- جمهرة الألفاظ العامية المتداولة في الحلة ٢٠٠٩
٩- النور المذبوح قاسم عبد الأمير عجام (مشترك) ٢٠١١
١٠- طقوس وعقائد ما بعد الموت ٢٠١١
١١- الرسم بالرؤية الأبعد – عن الفنانة القطرية سعاد السالم (بالإنجليزية) ٢٠١٢
١٢- خانات الحلة ٢٠١٣

١٣- مذكراتي في خرائب بابل، لجيمس ريدج- مترجم ٢٠١٤

١٤- مائة يوم ويوم في بغداد، للكاتبة الصحفية النرويجية هوسنا زيرشتاد ٢٠١٤[٣٢].

١٥- جمهرة الألفاظ العامية العراقية ٢٠١٥

١٦- أوراق العشب لوالت ويتمان ٢٠١٥

١٧- النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة ٢٠١٦

١٨- بابل في مدونات الرحالة ٢٠١٦

١٩- الباب المنزلقة تقلق الطيور- قصائد مترجمة من الشعر العالمي المعاصر ٢٠١٨

٢٠- الوجه الأخير، مقالات في الأدب الغربي الحديث، ٢٠٢٠

٢١- دليل بابل الآثاري (بالإنجليزية)، ٢٠٢١

٢٢- مدن في حياتي، ٢٠٢١

٢٣- ذكريات طالب في برلين، سيرة الدكتور يوسف عبود، ٢٠٢٢

٢٤- ثقافة المكان- وصف ثقافي لمدينة الحلة، ٢٠٢٤

٢٥- ذات زمن في بغداد، لمارغو كرتيكار، ٢٠٢٤

٢٦- رحلة الشرق الأوسط، لرتشارد كوولد- آدامز، ٢٠٢٥

مما سبق، يتبين أن السعيد لديه غزارة كبيرة في الإنتاج، فضلًا عن تنوع هذا الإنتاج تبعًا لتعدد توجهات السعيد واهتماماته، وهو ما يعكس جهدًا بحثيًا وإبداعيًا كبيرًا، لتمتد تجربته الإبداعية منذ صدور أول كتاب له عام ١٩٨٦ إلى ما يقارب أربعة عقود، وإذا عدنا إلى زمن المخطوطة التي ترجمها في مجلة الأقلام عام ١٩٦٩ ستصل تجربته إلى أكثر من خمسة عقود، ومن الموضوعات التي تناولها في مؤلفاته هذه تبرز انشغالاته في مجالات الترجمة الأدبية القصصية منها والشعرية، وكذلك مجال التراث اللغوي، مما يعكس وعيه اللغوي العميق سواء على مستوى اللغة الفصحى أو اللهجات، كما تُبرز عنايته بمذكرات الرحالة امتلاكه منظورًا ثقافيًا وتاريخيًا وجغرافيًا، وبهذا فهو ليس مترجمًا فحسب، أو يترجم بعين لغوية فقط، بل ينطلق من عين مثقفة واعية بالسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي، وهو ما جعله باحثًا وكاتبًا يُشار له بالبنان ومن الأسماء العراقية والعربية البارزة في مجال الترجمة الأدبية والثقافية.

ثانيًا: مستويات الأسلوب الفني في ترجمة كتاب (البابُ المُنزلِقة تُقْلِق الطيور)

جاء هذا الكتاب المترجَم الذي يحمل التسلسل التاسع عشر من مؤلفات السعيد بين مُترجَم ومؤلَّفٍ، وكان بعنوان (الباب المنزلقة تقلق الطيور) وقد ذيَّل المترجِم هذا العنوان بجملة (وقصائد من الشعر العالمي المعاصر)[٣٣]، والجزء الأول من عنوان هذا الكتاب هو عنوان لإحدى

القصائد التي وردت فيه، وقد ترجم السعيد هذا الكتاب وأصدر طبعته الأولى عام ٢٠١٨م عن دار الصوّاف في دمشق، بعدد صفحات بلغت ١١٩ صفحة من القطع المتوسط.

يقدّم السعيد في هذا الكتاب ثلاثة وثلاثين شاعرًا أجنبيًا من بلدان ولغات مختلفة، فنجد الشاعر الآيسلندي والهنغاري والأسترالي والإسباني والروماني والاسكتلندي والألماني والأمريكي والفرنسي والنمساوي، وهناك شعراء من أصول عربية أو ولِدوا في البلدان العربية وأصدروا نصوصًا ودواوين باللغة الأجنبية، بعدد قصائد وصل إلى ٦٠ قصيدة.

اتبع السعيد في كتابه هذا طريقة التزم بها في الأعمّ الأغلب وهي البدء بتقديم سيرة موجزة عن حياة الشاعر ومن ثم ذكر قصيدة أو بضع قصائد له، إلا أن هناك من الشعراء مَنْ لم يعرض لسيرتهم بل قدَّم نصوصهم من دون التعريف بهم، ويحتمل أن يكون بسبب عدم تمكن السعيد من الحصول على معلومات عن حياتهم، بل حتى مَن ترجم لحياتهم قد اختلفوا في تلك الترجمة، فمنهم من ذكر سنة ولادته ووفاته ونشأته ودواوينه المطبوعة والأعمال أو الوظائف التي شغلها، ومنهم مَن اقتصر فيه على جزئية صغيرة من حياته.

إن أكثر ما يفاجئ قارئ هذا الكتاب هو المقدّمة، إذ تكاد تكون مختلفة تمامًا عمّا هو متعارف عليه في تقديم الكتب أو الدواوين، فقد قدّمه السعيد بجمل شعرية موجزة وهي[٣٤]:

مقدمة

ما الفائدة من المقدمة

فالشعر هو الشعر

والخيانة هي الخيانة

إنها مجرد نزوة

فامنحني قليلاً من وقتك

وبعدها لكل حادث حديث

ويبدو أن هذه المقدمة هي ردٌّ على رأي شاع في الأوساط الأدبية بأن ترجمة الشعر هي خيانة له وإساءة لنصوصه الأصلية؛ لما تتضمنه هذه النصوص من إيقاع وصور ورموز وإيحاء ولغة مشحونة بالعاطفة، فالشاعر على وفق هذا الرأي لا يمكن له أن يترجم الشعر إلى لغة أخرى مع المحافظة على رونقه وجماليته، فجاءت مقدمة المترجِم على هذا النحو وكأنه يريد أن ينأى بنفسه عن الخوض في هذا الحديث، بل نراه يلمّح إلى موقفه من هذه القضية، بأن ما يفعله الآن في ترجمته لبعض النصوص الشعرية هو (مجرد نزوة)، فهو يسوّغ مسبقًا، بل ويعترف

بطريقة ساخرة أو فلسفية بالخيانة، ولكنها خيانة عابرة لا أكثر، لذا يدعو القارئ إلى أن يمنحه قليلًا من وقته ويقرأ هذه النصوص الشعرية المترجَمة قبل أن يطلق حكمه عليها.

وقد جاءت الترجمة الأدبية عند صلاح السعيد على مستويين اثنين، يشيان بمرونة المترجِم في تجربة الترجمة الأدبية، فهناك مستوى رفيع اتسم بكثرة الاستعارات والتشبيهات وكثافة الإيحاء والابتعاد عن اللغة المباشرة، وهو المستوى الذي يلامس ذائقة المتلقي العربي المجبولة على البلاغة منذ الجاهلية وإلى يومنا هذا، وهناك مستوى آخر اتسم بالبساطة المفرطة واللغة المباشرة التي تفتقر إلى الصور البلاغية وتبتعد عن الحمولات المجازية الثقيلة، إذ اكتفى السعيد في ترجمة النصوص التي تنتمي لهذا المستوى بنقل معانيها بكل عفوية، وهو ما يبدو غريبًا عن المتلقي العربي الذي اعتاد على تلقي الشعر القائم على التلميح لا التصريح، والمملوء بالصور والرموز، ولعل هذا التنوع في انتقاء النصوص المترجَمة بين التعقيد الفني من جهة والبساطة التعبيرية من جهة أخرى يُنبئ عن رغبة المترجِم في الحفاظ على الصوت الخاص بكل نص يترجمه، مهما كان المستوى التعبيري.

ولضمان شمول الدراسة وتمثيلها تجربة الترجمة الأدبية عند صلاح السعيد على نحو وافٍ، عمد الباحث إلى انتقاء نموذجين اثنين من كل مستوى، مثَّل النصان الأوليان المستوى الأول بما يحمله من كثافة في التصوير والإيحاء، يقابلهما نصان يمثلان المستوى الثاني بما يتسم به من بساطة في التعبير ومباشرة في اللغة.

من نصوص المستوى الأول التي ترجمها صلاح السعيد نصٌّ للشاعر الأيسلندي هالبرج هالموندسن الذي يذكر عنه المترجِم بأن قصائده غالبًا ما تتحدث عن اللحظة الطبيعية والفصول والمخلوقات وجزر الجليد والبحار، وتوحي بالتجدد وبالرحلة خلال الحياة وإضاءة الذكريات التي تربط الماضي بالحاضر، ولاقتراب الخريف، خريف الشاعر، الذي يرحب به بذراعين مفتوحتين طيلة حياته، إذ يقول في قصيدته **(ما الذي تفعله)**[٣٥]:

ما الذي تفعله/ بكل هذا اليوم الطويل؟/ أصغي إلى حفيف أوراق الشجر./ أتطلع إلى عنكبوت ينسج شباكه./ أرقب طيوراً تبني أعشاشها./ أشعر بدفء الشمس يغمرني./ أشم عطر القش الجاف./ أتذوق التوت الناضج/ عبر السياج./ لكن كل هذا من مناظر الصيف/ ماذا عن ليالي الشتاء الطويلة؟/ بعدئذٍ غالباً ما أسير في الليل/ أحملق في النجوم لفترة طويلة./ وأشعر كم أنا متواضع وضئيل/ عندئذٍ أدَعُ الصمت يغمرني./ وأحس أحياناً بنفحة الموت الضعيفة/ تحت الحقول الثلجية البيضاء/ في الصباح التالي/ ومن ثم، أتذوق طعم/ الموت في فمي.

تكشف هذه القصيدة –وهي أولى قصائد هذا الكتاب– عن فهم عميق عند المترجِم لمقتضيات الترجمة الأدبية، بدءًا من اختيار موضوع النص وانتهاءً بنقله إلى اللغة الأخرى المتمثلة هنا باللغة العربية، ولعل أول ما يجذب انتباه المترجِم والمتلقي على حدٍّ سواء هو العنوان، فهذا النص ينطلق من عنوان استفهامي بسيط ومفتوح يتمثل في (ما الذي تفعله)، فظاهره يُنبئ عن فضول عابرٍ ورغبة في المعرفة، فهو لا يُحدد مخاطَبًا بعينه، بل يأخذ طابعًا تأمليًا عامًا، ولكن من جهة أخرى يمثل هذا العنوان أو السؤال مفتاحًا نفسيًا للدخول في عالم الذات الشاعرة أولًا ولفهم النص بأكمله ثانيًا، فكل ما موجود في هذه القصيدة يُعد إجابة وجودية عنه.

وعند ملاحظة ترجمة هذا النص على المستوى التركيبي يتبين أن اللغة المستعملة فيه هي لغة عربية فصيحة وبسيطة، وتتناسب مع ذائقة المتلقي المعاصر، ومن شدة إتقان صلاح السعيد لترجمته الأدبية تكاد تختفي آثار الترجمة في النص بشكل تام، إذ يظهر النص بزيّ عربي جميل، وهو ما يؤكد أثر المترجِم في ترجمة النصوص الأدبية ولا سيما النصوص الشعرية، فلولا شاعرية المترجِم وحسّه الفني ما كان لهذا النص الشعري أن يظهر بهذه السلاسة الأسلوبية والدقة الشعورية، الأمر الذي يعزز فكرة أن الترجمة الأدبية هي إبداع ثانٍ لا يقل في قيمته الجمالية عن إبداع النص الأصلي، وبهذا فقد استمدت هذه القصيدة طاقتها الجمالية من البساطة في التعبير والأسلوب المباشر الذي يخلو من الزخرفة اللغوية ويعكس بساطة الحياة والتأمل فيها، حتى غدت القصيدة مثل بوح داخلي هادئ صادق ذي انسياب شعوري، إذ تشكَّلت من صور يومية وقريبة من الطبيعة، ومن تجليات هذه الصور (أصغي إلى حفيف أوراق الشجر) و(أتطلع إلى عنكبوت ينسج شباكه) و(أرقب طيورًا تبني أعشاشها)، و(أشم عطر القش الجاف) و(أتذوق التوت الناضج) و(أسير في الليل) و(أحملق في النجوم لفترة طويلة)، وغيرها من الصور الحسية التي لا تعتمد على المجاز المعقد، بل تعتمد في تصويرها على الحواس، فالصور في هذه القصيدة بشكل عام أقرب إلى التأمل والتقرير منها إلى الرمز والتكثيف.

أما على المستوى البلاغي، فعلى الرغم من أن هذه القصيدة مبنية على الصور التقريرية إلا أنها لا تخلو من وجود المجاز في عدد من الصور وإن كانت قليلة، مثل (أدَعُ الصمت يغمرني) و(أحس أحيانًا بنفحة الموت الضعيفة) و(أتذوق طعم الموت في فمي)، فتشخيص الصمت بوصفه كائنًا قادرًا على غمر الذات، ونسبة الضعف إلى نفحة الموت، بل وإمكانية تذوق هذا الموت في الفم، كل هذه المجازات تُعد انزياحات لغوية لطيفة تخدم الحالة التأملية ولا تخلّ بالتركيب اللغوي المألوف، فالنص يتدرج في عرض صوره تدرجًا منطقيًا، منتقلًا من الطبيعة

الحسية الخارجية إلى التأمل الداخلي، ومن مراقبة الأشياء التي تحيط بالذات إلى شعور هذه الذات بالضعف أمام الزمن والموت.

أما المستوى الإيقاعي، فصحيح أن القصيدة لا تخضع لإيقاع خارجي إلا أن المترجِم حافظ على الإيقاع الداخلي التأملي للنص، من خلال تكرار عدد من الأفعال في بداية كل سطر، مثل: (أصغي، أتطلع، أرقب، أشعر، أتذوق، أحملق، أحس) فهذه الأفعال تخلق نوعًا من التنغيم الهادئ الذي يضبط إيقاع القصيدة وينظمها، من دون الاعتماد على الوزن والقافية، وهو ما يكشف عن وعي المترجِم بأسلوب النص الأصلي وضرورة المحافظة عليه بما يتناسب مع ذائقة المتلقين وطبيعة اللغة المترجَم إليها، وبهذا وازن صلاح السعيد بين الأمانة للنص الأصلي ومراعاة ذائقة المتلقي العربي، فكان قارئًا ذكيًا للقصيدة قبل أن يكون مترجِمًا وناقلًا لها.

ومن النصوص التي تحمل في مضامينها رمزية واضحة قصيدة **(صمت)** للشاعرة الأسترالية اليسون كروغن، نشرتها عام ٢٠٠٠م، تقول فيها[٣٦]:

كَسَر الصمتُ فمي:/ فتات الخبز طارت من النافذة/ مثل فراشات ورقية أو/ وردة الماغنوليا/ اللا اكتراث يتبعثر على العشب/ هذه المرايا مربكة،/ جد باردة وغالية، لكنها/ تترقرق الآن/ بلا ضوضاء مثل المنحنى الجميل/ لماء من صخرة عالية/ حيث كنت أنظر أسفل، أرى/ أبعد من ذلك تلك النقطة الزرقاء وراء/ أي صوت.

يبدو أن من الأسباب التي دفعت المترجِم صلاح السعيد لترجمة هذه القصيدة رهافة حسّه، فقصيدة (صمت) شأنها شأن القصائد الأخرى المترجَمة في هذا الكتاب، التي يغلب عليها الطابع الهادئ التأملي وذات اللغة البسيطة العميقة في آن واحد، وهو ما يعزز فرضية أن صلاح السعيد لا يميل إلى القصائد الصاخبة، بل يحاول في كثير من الأحيان انتقاء القصائد ذات البُعد التأملي أو الفلسفي، ومن الأسباب الممكنة أيضًا أن مثل هذه القصائد لا تقف عند حدود مجتمعٍ أو بلدٍ ما، بل هي حالة شعورية عامة يمكن حدوثها في كل مكان ولا سيما البلاد العربية، وبهذا تكون هذه القصائد جسرًا جماليًا يربط بين الثقافة التي انطلقت منها والثقافة التي تُرجِمت إليها، فضلًا عن انفتاح هذه القصيدة على معانٍ ومستويات عدة من الفهم، فهل هذه القصيدة هي عن العزلة أم التأمل أم الهروب أم الموت؟ ومما يُحسب لهذا التعدد في التأويل أنه يجعل القصيدة تمثل الحالة الشعورية للإنسان في أي زمان ومكان.

إن تحليل المستوى التركيبي لترجمة صلاح السعيد لقصيدة (صمت) يظهر إحساسًا عاليًا وبراعة كبيرة في ضبط التوازن بين المحافظة على بساطة المفردات وعمقها الدلالي، فعلى الرغم من اختيار المترجِم لمفردات عربية لا تخرج عن الحياة اليومية والمألوف مثل (فُتات الخبز،

النافذة، فراشات ورقية، العشب، الضوضاء، الماء، الصخرة العالية، النقطة الزرقاء،...) لكن السياق الشعري لهذه المفردات أضاف لها طاقة دلالية وإيحائية جديدة وعميقة، فضلًا عن ذلك فإن تحليل المستوى اللغوي هنا يكشف اقتصادًا لغويًا وتكثيفًا لفظيًا، إذ لا كلمات زائدة في هذا القصيدة، ولا تزاحم بين جملها، ولا تزويق يُفقدها التأثير في المتلقي، فنراه يحافظ على تماسك نحوي واضح وبسيط بعيدًا عن التكلف والصرامة القواعدية التقليدية، ففي ترجمته للجزء الأخير من القصيدة يبرز تقديم وتأخير في السطرين (حيث كنت أنظر أسفل، أرى/ أبعد من ذلك تلك النقطة الزرقاء)، إذ يتقدم الظرف ويتأخر الفعل، وهنا لم يركز المترجِم على ضرورة مراعاة القواعد النحوية بقدر عنايته بالتركيب الذي يخدم النبرة التأملية في القصيدة.

وعند متابعة المستوى البلاغي للقصيدة، تفاجِئنا القصيدةُ منذ بدايتها باستعارتين تتمثلان في (كَسَر الصمتُ فمي) و(فتات الخبز طارت من النافذة)، ففي كسر الصمت للفم انزياح دلالي يُحدث مفارقة بلاغية أحسن المترجِم نقلها للغة العربية مع الحفاظ على تكثيفها وانزياحها، فأنْ يكون (الصمتُ) فاعلًا و(الفم) مفعولًا به ليس ترجمة حرفية للنص فحسب، بقدر ما هو شعور واعٍ بما تحمله هذه الجملة الشعرية من طاقة إيحائية مشبعة بالتوتر، وكان بإمكان المترجِم اللجوء لصيغة أسهل وأوضح، ولكنه آثر أن يترك مساحة للقارئ في التأويل، ولهذا تستمر عناية المترجِم بالصور البلاغية في السطر الثاني للقصيدة، فـ(فتات الخبز) ليست جمادًا، بل هي كائن حي يطير ويتحرك مثل (الفراشات الورقية) فيمنحها حسًّا طفوليًا، وبصورة تشبيهية أعمق فإن (فتات الخبز) هذه مثل (وردة الماغنوليا)، فيضفي عليها طابعًا أنثويًا رقيقًا، وبهذا يكون المترجِم قد حافظ على الطاقة الشعورية والجمالية للصورة الأصلية، وفي سطر لاحق ومن خلال تمكّن المترجِم من اللغة العربية ينجح في ترجمة انتقال حالة شعورية مجردة إلى شيء مادي ملموس، حيث (اللا اكتراث يتبعثر على العشب)، مما يدل على فهم وإدراك بلاغي عالٍ لدى المترجِم.

أما المستوى الإيقاعي في قصيدة (صمت) فمن المؤكد أن هذا الإيقاع ليس إيقاعًا عروضيًا، إذ تخلو القصيدة من الوزن والقافية المنتظمة، بل هو إيقاع داخلي هادئ متماسك، بما يسهم في بناء النبرة التأملية للقصيدة، وقد أجاد المترجِم في الحفاظ على هذا الإيقاع من اختلال التوازن، إذ نقله بطريقة جذابة تعزز من انسجامها الصوتي والنفسي، وذلك من خلال اختياره لمفردات منحت القصيدة إيقاعًا سرديًا يضفي عليها نوعًا من الاستمرارية الزمنية مثل (كسر، طارت، يتبعثر، تترقرق، أنظر)، فالإيقاع في هذه الترجمة لا يُعد موسيقى ظاهرة إيقاعًا خارجيًا، بل هو إيقاع داخلي يقوم على سلاسة الأفعال وتقطيع الجمل وتناغم الأصوات وتوزيع التراكيب، وهو ما نجح فيه المترجِم من غير تكلّف في النغمة أو إقحام للقافية.

ومن نصوص المستوى الثاني الذي يمثل البساطة في التعبير والوضوح في اللغة نص **(أغنية ضد الموت)** للشاعر والناقد مرفين موريس الذي يذكر عنه المترجم بأنه حاصل على العديد من الجوائز والميداليات الأدبية، إذ يقول في هذه القصيدة[٣٧]:

قل عائلة/ قل أصدقاء/ قل زوجة/ قل حبا/ قل حياة/ قل تململ/ ضحكة/ ضوء الشمس/ مطر
قل دورة/ دائرة موسيقى/ ذاكرة / قل: ليل ونهار/ قل: شمس وقمر/ قل/ أراك بخير

عند قراءة هذا النص المترجَم يتبادر إلى ذهن القارئ أن ترجمة صلاح السعيد في هذا النص تحديدًا تكاد تفتقر إلى العمق الفني، فإن كان النص الأصلي على غير هذه الهيأة وكان أعمق فلسفةً، فهذا يعني أن الترجمة لم تفِ النص حقَّه، أما إن كان النص بهذه البساطة والوضوح حقًّا فالمشكلة تكمن في اختيار المترجِم له، ففي المستوى اللغوي، استخدم المترجِم لغة عربية فصيحة خالية من التعقيد بما ينسجم مع طبيعة النص نفسه والحفاظ على المباشرة والصفاء اللغوي، والابتعاد عن الزخرفة اللغوية التي قد تُبعد النص عن روحه، والاعتماد على مفردات مألوفة قريبة من المتلقي العربي، ولكن في مقابل ذلك يبرز تكرار استخدام الفعل (قُل) الذي ولَّد رتابة في بناء النص وابتعد عن التنويع الأسلوبي، فضلًا عن ذلك فإن معظم المفردات جاءت واضحة ومباشرة في الإيحاء مثل (عائلة، أصدقاء، زوجة، ضحكة، مطر، ...) فعلى الرغم من أنها مفردات عربية فصيحة إلا أن هناك مفردات فصيحة أخرى يمكن أن تكون أكثر عمقًا وإيحاءً منها، ولكن أمانة المترجِم في النقل كانت أقوى من أن يضيف للنص مما ليس فيه.

أما على المستوى البلاغي، فالقصيدة تقوم على أسلوب بلاغي مهم وهو التكرار الذي يتجلى فيها من خلال تكرار الفعل (قُلْ) الذي يُعد العمود الفقري لها، ولكنها تكاد تخلو من الصور المجازية التي يجد فيها المتلقي العربي موطنًا للجمال، ولهذا فإن التزام المترجِم بروح البساطة في ترجمته لهذا النص أفقد القصيدة جاذبيتها البلاغية التي ينتظرها المتلقي العربي، وكذلك الحال بالنسبة إلى المستوى الإيقاعي الذي بدا أقل حيوية مما كان في النصين السابقين أو النصوص العربية التي اعتاد قراءتها، فرتابة التكرار وعدم توزيع المفردات على السطور بطريقة تزيد من الأثر الموسيقي وافتقاد القصيدة لتصاعد النبرة الشعورية كل ذلك قلل من البنية الإيقاعية التي كان من الممكن أن يكون لها أثر أكبر لو وظّفَتْ بطريقة أخرى، وبهذا فإن ترجمة صلاح السعيد لهذا النص كانت بسيطة إلى الحد الذي جعلها أقل إبداعًا مما هو موجود في كثير من نصوصه المترجَمة الأخرى وبما تسمح به الترجمة الأدبية نفسها في توظيف إمكانات اللغة التركيبية والبلاغية والإيقاعية.

ومن النصوص التي تنتمي للمستوى الثاني في الترجمة الأدبية قصيدة (**إفطار**) للشاعر الهنغاري جيورجي بتري، الذي يقول عنه المترجم بأن له شهرة كبيرة في هنغاريا، يقول فيها[٣٨]:

إفطار/ يصب القهوة في الكوب/ يصب حليباً في القهوة/ سكراً في القهوة بالحليب/ يشرب القهوة بالحليب/ دون أن ينظر إليَّ/ دون أن يقول كلمة/ يشطف الكوب/ الذي كانت فيه القهوة/ الذي كان فيه الحليب مع القهوة/ الذي كان فيه السكر في قهوته بالحليب/ يشعل سيجارته/ ينفخ حلقة دخان/ دون أن ينظر إليّ/ دون أن يقول كلمة/ ينفض الرماد/ في المنفضة/ ينفخ الدخان/ ينفض الرماد/ دون أن ينظر إليَّ/ دون أن يقول كلمة/ ينفخ الدخان/ يطفئ العقب/ في المنفضة/ يرتدي معطفه المطري/ لأنها كانت تمطر/ يأخذ قبعته/ دون أن ينظر إليَّ/ دون أن يقول كلمة/ يخرج في المطر/ بمعطفه وقبعته/ من دون ومن دون/ وأنا أشبك رأسي/ بين يدي/ وأبكي

إن قراءة هذا النص المترجَم تُشعر المتلقي بأمانة الترجمة ووضوحها، ولكن هذه الأمانة وهذا الوضوح جعلا النص يخسر كثيرًا من الشحنة الشعورية والكثافة الإيحائية التي يمكن أن تمنحها اللغة العربية للنص المترجَم على افتراض أن صلاح السعيد نقله حرفيًّا، فعلى المستوى التركيبي جاءت التراكيب بسيطة ومباشرة من دون تعقيد لغوي، وهو ما يتناسب مع طبيعة الحياة اليومية التي تنقلها القصيدة، فضلًا عن ذلك فقد حافظ المترجِم على تسلسل الأفعال بشكل واضح، وهو ما حافظ على استمرارية المشهد وزمنيته، ولكن في المقابل من ذلك فإن الإفراط في تكرار عدد من التراكيب النمطية مثل (دون أن ينظر إليّ، دون أن يقول كلمة) أضعف البنية التركيبية للنص، وكان بإمكان المترجِم استعمال تراكيب أخرى مرادفة تجنبًا للرتابة وتنويعًا للأسلوب، ومما أفقد النص بعضًا من سلاسته هو أن الترجمة كانت أقرب للنقل الحرفي منها إلى الصياغة المعهودة في الترجمة الأدبية.

وعلى المستوى البلاغي، نقلت القصيدة الحياة اليومية مثلما هي، وهو ما يعكس أمانة المترجِم في نقل روح المعنى في النص الأصلي والحفاظ على الجو النفسي المتمثل باللا مبالاة والبرود، أما صورها الحسية التي جاءت على مفردات مثل (الحليب، القهوة، السيجارة، المعطف) محورًا أساسيًا تقوم عليها فقد نقلها المترجِم بكل سلاسة، ولكن ما أضعف النص المترجَم غياب المحسنات البلاغية والمجازات والتشبيهات التي تُعد ملمحًا جماليًا في النصوص الشعرية، مما جعل الترجمة تقترب من السرد الحرفي وتبتعد عن التكثيف والإيحاء، وتقلل من الشحنة العاطفة للنص.

أما المستوى الإيقاعي في هذا النص، فقد خلق التكرار المنظم فيه إيقاعًا داخليًا يتناغم مع إيقاع الحياة اليومية التي ينقلها النص، ولكنه في الوقت نفسه خلق رتابة صوتية ناتجة عن هذا التكرار، فضلًا عن ذلك فإن المترجِم هذا النص لم يستثمر ما في المفردات العربية من جرس موسيقي، مما جعل وقع الترجمة على الأذن أقلّ مما هو في النصوص المترجَمة التي تنتمي للمستوى الأول أو النصوص العربية المُشبَعة بالإيقاع الداخلي.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية في مجال الترجمة الأدبية، يمكن القول إن هذا المجال لا يقل أهمية عن إبداع الأدب نفسه، إن لم يكن أعلى شأنًا، إذ تُعد الترجمة الأدبية جسرًا حضاريًا وثقافيًا بين الأمم المختلفة، ولكنها تتطلب من المترجِم أن يكون ذا حسّ جمالي وعمق ثقافي ووفاء لروح النص، فعملية ترجمة النصوص الأدبية غاية في التعقيد والصعوبة؛ لما تحتمله هذه النصوص من تعدد في القراءات والتأويلات، وهذا ما توصل إليه البحث في تناولها لتجربة صلاح السعيد في الترجمة الأدبية، فعند قراءة القصائد التي وردت في الكتاب المترجَم (الباب المنزلقة تقلق الطيور) سيجد القارئ أن صلاح السعيد قد وظّف فيها خبرته الطويلة في مجال الترجمة، فكانت تراكيب النصوص الشعرية المترجَمة وصورها البلاغية وإيقاعاتها الداخلية على غاية من الانسجام والاتساق، وكأنها منقولة بلغتها الأم، إذ لا يشعر القارئ عند قراءتها أو سماعها أنها مُترجَمة، بل نقلها إلى اللغة العربية بشكل سلس مشوّق للقارئ، ولكن ما يؤخذ على ترجمة هذا الكتاب هو انتقاء المترجِم لبعض النصوص الشعرية، إذ جاءت النصوص على مستويين متمايزين، مستوى رفيع اتسم بالتكثيف اللغوي والإيحاء وكثرة المجازات البلاغية يلامس ذائقة المتلقي العربي، ومستوى آخر يتسم بالوضوح والبساطة والمباشرة في التعبير، يكتفي فيه المترجِم بنقل المعنى بشكل حرفي، ولعل مردّ هذا التنوع في المستويات يعكس وعي المترجِم بخياراته الأسلوبية، وحرصه وأمانته في نقل النصوص بلغتها الخاصة، سواء كانت مشبعة بالصور البلاغية أو منسابة ببساطة التعبير حتى وإن لم تنسجم مع ذائقة المتلقي العربي.

الهوامش

(١) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ج٥: مادة (ترجم).

(٢) ينظر: فن الترجمة، د. محمد عوض محمد، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٩: ٥.

(٣) ينظر: منهاج المترجم- بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، د. محمد الديداوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥: ٢٨.

(٤) ينظر: دراسة في فن التعريب والترجمة، عبد الغني عبد الرحمن محمد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٦: ٥٩.

(٥) ينظر: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية- تاريخها- تطورها، سالم العيسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ١٩٩٩: ٧.

(٦) المصدر نفسه: ١٢.

(٧) ينظر: الترجمة والتواصل- دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، محمد الديداوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠: ٨٠.

(٨) ينظر: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية- تاريخها- تطورها: ١١.

(٩) ينظر: الترجمة والتواصل- دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم: ٨٣.

(١٠) ينظر: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية- تاريخها- تطورها: ١٥.

(١١) ينظر: دليل المترجم الأدبي – الترجمة الأدبية والمصطلحات الأدبية، ماجد سليمان دودين، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٩: ١٠.

(١٢) ينظر: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية- تاريخها- تطورها: ٥.

(١٣) ينظر: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رشيد حميد حسن الجميلي، الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ط١، ١٩٨٢: ٢٧- ٢٨.

(١٤) نحو ترجمة صحيحة، أحمد العوادي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د. ط١، ٢٠٠١: ٧.

(١٥) ينظر: دليل المترجم الأدبي – الترجمة الأدبية والمصطلحات الأدبية،: ١١.

(١٦) ينظر: فن الترجمة: ٣٠.

(١٧) ينظر: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية- تاريخها- تطورها: ١١.

(١٨) ينظر: نحو ترجمة صحيحة: ٧.

(١٩) ينظر: الترجمة الأدبية- إشكاليات ومزالق، د. يوسف حسين بكار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١: ٥.

(٢٠) نحو ترجمة صحيحة: ٨.

(٢١) المسائل النظرية في الترجمة، جورج مونان، تر: لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤: ٨.

(٢٢) دراسة في فن التعريب والترجمة: ٥٩.

(٢٣) ينظر: فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، د. صفاء خلوصي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢: ١٤.

(٢٤) ينظر: نحو ترجمة صحيحة: ٨.

(٢٥) ينظر: نظرية القارئ– دراسة في دور مترجم النصوص الأدبية، د. مها طاهر عيسى الإبراهيمي، منشورات إبداع، النجف الأشرف، د. ط، ٢٠٠٨: ١٠١.

(٢٦) ينظر: علم اللغة والترجمة، جورج مونان، تر: أحمد زكريا إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢: ٨٤.

(٢٧) ينظر: دليل المترجم الأدبي – الترجمة الأدبية والمصطلحات الأدبية: ٧– ٨.

(٢٨) ينظر: تعليم الترجمة، أمبارو أورتادو ألبير، تر: عبد الله محمد إجبيلو وعلي إبراهيم منوفي، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط، ٢٠٠٣: ٢٨٢.

(٢٩) ينظر: فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة: ٢٦– ٢٧.

(٣٠) ينظر: السيرة الذاتية للمترجم في نهاية كتابه: النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة، صلاح السعيد، دار الفرات، الحلة، د. ط، ٢٠١٦: ٢١٣– ٢١٤.

(٣١) ينظر: الخصائص الإبداعية للترجمة وأهمية دورها في نشر الوعي الثقافي، صلاح السعيد، صحيفة المدى، العدد: ٣٢٥٨، السنة الثانية عشرة، كانون الثاني، ٢٠١٥.

(٣٢) ينظر: النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة، صلاح السعيد، دار الفرات، الحلة، د. ط، ٢٠١٦: ٢١٣– ٢١٤ (السيرة الذاتية للمترجم في نهاية كتابه).

(٣٣) الباب المنزلقة تقلق الطيور– وقصائد من الشعر العالمي المعاصر، تر: صلاح السعيد، دار الصوّاف، دمشق، ط١، ٢٠١٨.

(٣٤) المصدر نفسه: ٥.

(٣٥) المصدر نفسه: ٨.

(٣٦) المصدر نفسه: ٣٠.

(٣٧) المصدر نفسه: ٤٤.

(٣٨) المصدر نفسه: ١٤– ١٥.

المصادر والمراجع

١– الباب المنزلقة تقلق الطيور– وقصائد من الشعر العالمي المعاصر، تر: صلاح السعيد، دار الصوّاف، دمشق، ط١، ٢٠١٨.

٢– الترجمة الأدبية– إشكاليات ومزالق، د. يوسف حسين بكار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١: ٥.

٣– ترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية– تاريخها– تطورها، سالم العيسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ١٩٩٩: ٧.

٤- الترجمة والتواصل- دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، محمد الديداوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠: ٨٠.

٥- تعليم الترجمة، أمبارو أورتادو ألبير، تر: عبد الله محمد إجبيلو وعلي إبراهيم منوفي، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط، ٢٠٠٣: ٢٨٢.

٦- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رشيد حميد حسن الجميلي، الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ط١، ١٩٨٢: ٢٧- ٢٨.

٧- الخصائص الإبداعية للترجمة وأهمية دورها في نشر الوعي الثقافي، صلاح السعيد، صحيفة المدى، العدد: ٣٢٥٨، السنة الثانية عشرة، كانون الثاني، ٢٠١٥.

٨- دراسة في فن التعريب والترجمة، عبد الغني عبد الرحمن محمد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٦: ٥٩.

٩- دليل المترجم الأدبي – الترجمة الأدبية والمصطلحات الأدبية، ماجد سليمان دودين، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٩: ١٠.

١٠- السيرة الذاتية للمترجم في نهاية كتابه: النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة، صلاح السعيد، دار الفرات، الحلة، د. ط، ٢٠١٦: ٢١٣- ٢١٤.

١١- علم اللغة والترجمة، جورج مونان، تر: أحمد زكريا إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢: ٨٤.

١٢- فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، د. صفاء خلوصي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢: ١٤.

١٣- فن الترجمة، د. محمد عوض محمد، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٩: ٥.

١٤- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ج٥: مادة (ترجم).

١٥- المسائل النظرية في الترجمة، جورج مونان، تر: لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤: ٨.

١٦- منهاج المترجم- بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، د. محمد الديداوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥: ٢٨.

١٧- النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة، صلاح السعيد، دار الفرات، الحلة، د. ط، ٢٠١٦: ٢١٣- ٢١٤ (السيرة الذاتية للمترجم في نهاية كتابه).

١٨- نحو ترجمة صحيحة، أحمد العوادي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د. ط١، ٢٠٠١: ٧.

١٩- نظرية القارئ- دراسة في دور مترجم النصوص الأدبية، د. مها طاهر عيسى الإبراهيمي، منشورات إبداع، النجف الأشرف، د. ط، ٢٠٠٨: ١٠١.

Sources and References

1- The Sliding Door Disturbs the Birds – Poems from Contemporary World Poetry, trans. Salah Al-Saeed, Al-Sawwaf Publishing House, Damascus, 1st ed., 2018.

2- Literary Translation: Issues and Pitfalls, Dr. Youssef Hussein Bakkar, Arab Institution for Studies and Publishing, Beirut, 1st ed., 2001, p. 5.

3- Translation in the Service of Popular Culture – Its History and Development, Salem Al-Issa, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, n.ed., 1999, p. 7.

4- Translation and Communication – Analytical and Practical Studies on Terminological Issues and the Role of the Translator, Mohammed Al-Didawi, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed., 2000, p. 80.

5- Teaching Translation, Amparo Hurtado Albir, trans. Abdullah Mohammed Ijbailo & Ali Ibrahim Monoufi, King Saud University, Riyadh, n.ed., 2003, p. 282.

6- The Translation Movement in the Eastern Islamic World During the 3rd and 4th Centuries AH, Rasheed Hameed Hassan Al-Jumaili, Book and Publishing & Advertising & Printing, Tripoli, 1st ed., 1982, pp. 27–28.

7- The Creative Characteristics of Translation and the Importance of Its Role in Spreading Cultural Awareness, Salah Al-Saeed, Al-Mada Newspaper, Issue No. 3258, Year 12, January 2015.

8- A Study in the Art of Arabization and Translation, Abdul Ghani Abdul Rahman Mohammed, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1st ed., 1986, p. 59.

9- The Literary Translator's Guide – Literary Translation and Literary Terminology, Majid Suleiman Dudin, Arab Society Library for Publishing and Distribution, Amman, 1st ed., 2009, p. 10.

10- Translator's Biography, in: Al-Najaf Al-Ashraf and Karbala Al-Muqaddasa in the Memoirs of Travelers, Salah Al-Saeed, Dar Al-Furat, Hilla, n.ed., 2016, pp. 213–214.

11- Linguistics and Translation, Georges Mounin, trans. Ahmed Zakaria Ibrahim, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st ed., 2002, p. 84.

12- The Art of Translation in Light of Comparative Studies, Dr. Safaa Khulusi, Publications of the Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1982, p. 14.

13- The Art of Translation, Dr. Mohammed Awad Mohammed, Institute of Arab Research and Studies, Cairo, n.ed., 1969, p. 5.

14- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, ed. Abdullah Ali Al-Kabeer et al., Dar Al-Ma'arif, Cairo, n.d., Vol. 5: Entry "Tarjam".

15- Theoretical Issues in Translation, Georges Mounin, trans. Latif Zeitouni, Arab Selector Publishing House, Beirut, 1st ed., 1994, p. 8.

16- The Translator's Method: Between Writing, Terminology, Hobby, and Profession, Dr. Mohammed Al-Didawi, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed., 2005, p. 28.

17- Al-Najaf Al-Ashraf and Karbala Al-Muqaddasa in the Memoirs of Travelers, Salah Al-Saeed, Dar Al-Furat, Hilla, n.ed., 2016, pp. 213–214 (Translator's biography at the end of the book).

18- Towards Accurate Translation, Ahmed Al-Awadi, Modern Institution for Publishing, Lebanon, n.ed., 1st ed., 2001, p. 7.

19- The Reader's Theory – A Study of the Role of the Translator of Literary Texts, Dr. Maha Taher Issa Al-Ibrahimi, Ibda'a Publications, Al-Najaf Al-Ashraf, n.ed., 2008, p. 101.